الغير. إنّ محنة فلسطين هي امتحان لنا أوّلاً وللعالم بأجمعه ثانياً. وهو امتحان قاسٍ وصارم من غير شكّ. وليس من العزّة أو الكرامة أو الحكمة في شيء أن نتوهّمه الامتحان الأوّل والأخير أو الامتحان الأكبر والأهمّ. فنفتح أبواب قلوبنا للذعر والقلق واهمين أنّنا إن لم نجتز الامتحان ظافرين فقد خسرنا حقّنا في الحياة ورسبنا في أعماق لا خروج منها إلى الأبد.

لا، ليست محنة فلسطين بالامتحان الأوّل والأخير لحقّنا في الحياة. فلقد امتُحِنّا من قبل مراراً بغير عدّ وسنُمتَحَن فيما بعد مراراً بغير عدّ. ويقيني أنّنا لو لم نكن جديرين بالحياة لما كنّا اليوم على قيد الحياة. ولو لم يكن للحقّ غاية من وجودنا لما اندثرت شعوب كثيرة رافقتنا ورافقناها ردحاً من الزمن وبقينا نحن. فالحياة تكره الفضول والفضلات، ولا تبقي إلّا على ما لها مقاصد بعيدة من بقائه. ومقاصد الحياة منّا هي أكثر من أن تمتعنا بفترة من الزمن ليست غير لمحة بالنسبة إلى الأزل والأبد نأكل فيها ونشرب، ونهنأ ونشقى، ونغدو ونروح، وننسل طعاماً للموت ثمّ نغدو لقمة سائغة في فم الموت.

إنّ الرسالة العلويّة التي حملناها إلى العالم منذ مئات من